# لغة الجسد في القرآن الكريم
# دلالة المشي أنموذجا

# Physical appearance language in the holy book "Quran"
# The walking example

**د. حمزة العيفاوي**

**جامعة البليدة 2**

**Laifaoui.hamza@gmail.com**

**أ. علي طراد**

**جامعة قاصدي مرباح ورقلة**

**tradali76@gmail.com**

| تاريخ الإرسال:2019\05\19 | تاريخ القبول:2020\03\05 | تاريخ النشر: جويلية 2020 |
|---|---|---|

**الملخص :** تكشف المشية جوانب من شخصية صاحبها فيُكوِّن الإنسان نظرة مبدئية عن أي شخص يقابله من خلال جملة من المعطيات الأولية منها النظر إلى مشيته، والمتتبع لتراثنا اللغوي يجد أنّه قد فرّق بين أنواع المشيات تبعا لحالات ثابتة في شخصية صاحبها أو تسمية لحالات طارئة عليه فجعلوا تسمية المشية دلالة على حالة صحية أو نفسية أو عمرية ... وقد وردت في القرآن كلغة جسدية لها دلالاتها والمعاني التي تحيل إليها، وهو ما تسعى إليه هذه الدراسة هو التطرق إلى دلالة المشي في القرآن الكريم.

**الكلمات المفاتيح:** دلالات، المشي، القرآن، لغة الجسد، هيئة

**Abstract**

The way of walking shows some sides if the human being's personality. In deed you can discover a general review of some one's personality through his her way of walking, our Arabic language deferates and shows many names of walking according to the psychological state and also the age of the human being.

Walking was mentioned in the holy book "Quran" as a language that has many signs and meanings. This is the concentration of our study which is studying the signs of walking in "Quran".

**Key words :**signs, way of walking , Quran, physical appearance state.

إنّ لمشية الإنسان دلالاتها. فالمشي هو انتقال الجسم من مكان إلى مكان بطريقة معينة «وإذا ما استبطن المرء هيئة المشي استبطان المتدبّر الفاحص، فإنّ بإمكانه أن يقسم تلك الهيئات باعتبارات تتباين بتبيان الأحوال والدلالات »[1] فهناك مشية المختال المتكبر، وفيها يأخذ الجسم هيئة معينة تدل على الخلق السيئ «ويعبر عنها بسلوكيات حركية عديدة، إبعاد الجانب ومد الظهر»[2] وقد يكون ذلك بجر الثوب علاوة على التمطي والتبختر في المشية، وتصعير الخد والإعراض عن الناس، وقد يكون بكف البصر وعدم النظر إليهم. فكل هذه السلوكيات الحركية هي من الكبر الذي لا يقول فيه الشخص شيئًا لكن هيئته تدل عليه وتحيل إليه بما تعارف الناس عليه من علامات دالة على مقاصدهم.

كما أنّ التهادي في المشية وارتخاء الجسم وشحوب اللون، تدل في مجملها على الحالة الصحية للشخص. يقول الباحثان آلان و باربارا بيز: « نحن عندما نلتقي أشخاصا لأول مرة نصدر سريعا أحكاما عن كونهم ودودين أو مسيطرين أو غير ذلك من التصنيفات ولا تكون عيونهم أول ما ننظر إليه »[3]

كما تخبرك المشية عن جنس الانسان فثمّ مشية الأنثى، ومشية الذكر. فلو مشى الرجل متشبها بمشية المرأة لوصف بالخلاعة والتخنث، و لو مشت المرأة مشية الرجل لقيل إنها مسترجلة. وقد تخبرك المشية عن سن الإنسان، فمشية الشاب اليافع غير مشية الكهل، و مشية الصبي الصغير غير مشية البالغ الراشد ومشية الشاب غير مشية الشيخ الهرم [4] وتتحكم اعتبارات أخرى في المشي، فالمشية السريعة ركضًا أو هرولة تتحكم فيها الخطوة التي يخطوها الإنسان، وطبيعة الأرض التي يمشي عليها، والهدف الذي أخرجه، والاتجاه الذي يسير فيه .[5]

ونحن إذ نقارب هذا الموضوع نحاول الإجابة عن إشكال رئيس مفاده: ماهي دلالات أنواع المشيات التي ساقها القرآن وما علاقتها بالمشهد الذي ترد فيه؟ متوسلين إلى ذلك بمنهجي الاستقراء والتحليل محاولين رصد الدلالات التي تحيل إليها أنواع المشي في القرآن الكريم.

ولما كانت المشية موحية بجنس الإنسان وعمره وحالته النفسية أو الصحية أو الاجتماعية، اتخذ العرب لكل مشية اسمًا معينا يستوجب وصف المشية به استحضار معان بعينها، فالخطران مشي الشباب باهتزاز ونشاط، والدليف مشي الشيخ رويدا رويدا والدألان مشية النشيط، والاختيال والتبختر والتبهيس مشية الرجل المتكبر، والمرأة المعجبة بجمالها وكمالها، والعثران مشية مقطوع الرجل، والقزل مشي الأعرج، والإهطاع مشية المسرع الخائف، و الأتلان أن يقارب خطوه في غضب، وأسماء المشيات كثيرة كما أتى على عدها الثعالبي في مؤلفه القيم فقه اللغة[6]

وقد يكون الإنسان مقبلا فيطرأ طارئ فيغير وضعيته الجسمية من الإقبال إلى الإعراض أو الارتداد والتولية : وهو مشي في الاتجاه المعاكس ، وتكون أسبابه متعدّدة فإمّا أن يكون خائفا من أمر ما، أو معرضا عن منظر أو شخص ما، وإما أن يكون لنسيان أمر وعند تذكره يتوجب العودة إليه، إلى غير ذلك من الأسباب الموجبة للعودة عن إكمال المسير .

وقد تأتي صيغ المشي للدلالة على معان مجازية تستشف من خلال السياق، وظّفها القرآن لزيادة الوضوح في المعنى وجعل المجرد محسوسا كالذي نشاهده رأي العين.

## I دلالات هيئات المشي

يتحرك الانسان في حياته اليومية باتجاهات شتى، ولا يعدو تحرّكه هذا أن يكون ذو طابع إيجابي يعود بالنفع على نفسه أو على غيره، أو طابع سلبي يجر من خلاله الوبال عليه أو على من سواه من الناس. وقد وردت هذه الدلالات في القرآن.

### أولاً_ دلالات إيجابية للمشي:

### 1 الدلالة على التواضع و العبودية لله :

في هذا المعنى يقول الله تبارك و تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [7] هذه مشية تدل على نفوس عرفت ربهّا فذلت له، و تواضعت في أرضه حتى في مشيتها . يقول سيد قطب رحمه الله : «ها هي ذي السمة الأولى من سيمات عباد الرحمن : أنّهم يمشون على الأرض مشية سهلة هينة ليس فيها تكلف ولا تصنع، و ليس فيها خيلاء ولا تنفخ ولا تصعير خد، ولا تخلع ولا ترهل. فالمشية ككل حركة تعبير عن الشخصية، و ما يستكن فيها من مشاعر، والنفس المطمئنة السوية الجادة القاصدة تخلع صفاتها هذه على مشية صاحبها، فيمشي مشية سوية مطمئنة جادة قاصدة، فيها وقار وسكينة، وفيها جد وقوة، وليس معنى ( يمشون على الأرض هونا) متماوتين منكسي الرؤوس، متداعي الأركان، متهاوي البنيان كما يفهم بعض الناس ممن يريدون إظهار التقوى والصلاح» [8]

إنّ هيئة مشي المؤمن دالة على صفاء سريرته، و صدق طويته، فلا يتكلف في مشيته ولا يظهر العجب بنفسه، و كثيرا ما ينفر الناس من شخص لم يعرفوه لمشية الغرور أو التخنث. وخير المشيات ما كان على السجية .

### 2 الدلالة على الصلاح والاهتداء :

في هذا المعنى يقول الله تعالى : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [9] «إنّ نور الإيمان الذي خالط قلب المؤمن فأنار بصره وبصيرته، فهو يمشي سويا إلى مقاصد تعود عليه بالنفع، مهتد إلى سبيل الخير. ثم إذا قلوبهم ينضح عليها الإيمان فتهتز وإذا أرواحهم يشرق فيها النور فتضيء، ويفيض منها النور فتمشي به في الناس تهدي به الضال، و تلتقط الشارد وتطمئن الخائف، وتحرر العبيد وتكشف معالم الطريق للبشر»[10]

إنّ المسلم في مسيره إلى المقاصد النبيلة هادٍ مهتدٍ، طريقه واضحة وغايته مرسومة سلفا، بصره مفتوح ينير له نور الإيمان، فيسير بخطى ثابتة يمشي بين الناس معلوم المبدأ والمنتهى.

### 3 الدلالة على الحياء و الحشمة :

إنّ طريقة سير الإنسان وخاصة المرأة تنمُّ عن مدى حيائها وحشمتها والتزامها الأخلاق الفاضلة فإنّ من الناس من تكون مشيته دالة على سوء الأدب، و انعدام الأخلاق، فمشية المرأة جاءت في القرآن دالة على الحياء والحشمة . قال تعالى حاكيا عن بنت شعيب حين أتت موسى: ﴿ فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [11] قال سيد قطب: «وجاءت تمشي على استحياء» مشية الفتاة الطاهرة الفاضلة العفيفة حين تلقي الرجال "على استحياء" في غير تبذل، ولا تبرج، ولا تبجح ولا إغواء»[12]

إن حياء المرأة أو عفتها أو بعدها عن الإغواء و إبراز المفاتن كله يستشف من مشيتها .

### 4 الدلالة على التخفي و التواري :

قد يكون الإنسان في حالة طبيعية مطمئنا لا ينغص حياته منغص، وقد يضطره ظلم غيره إلى السير خفية في جنح الظلام، أو خشية وقوع مكروه في مكان ما، فيضطر إلى الرحيل منه ليلا. و قد جاء هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [13] قال الشوكاني: « وقيل إنّ أسرى للمسير من أول الليل، و سرى للمسير من آخره . والقطع من الليل الطائفة منه. قال ابن الأعرابي: بقطع من الليل: بساعة منه. و قال الأخفش : بجنح من الليل وقيل بظلمة من الليل، وقيل بعد هدوء الليل»[14]

والذي يختار المسير ليلاً إنّما يريد أن يتوارى عن أنظار الناس، و يستتر بعتمة الليل. و قد جاء هذا المعنى في الآية بأن أخبرت الملائكة لوطاً بأن يسري بالليل حتى لا يحس به قومه، لأنّ العذاب آتيهم فخروج لوط (سيرا في الليل) دلالة على التخفي والتواري.

### 5 الدلالة على التردد جيئة و ذهابا:

يقال عن الإنسان إذا تردد حول مكان طاف به، أو أطاف حوله. قال ابن منظور:« وطاف بالقوم وعليهم طوفا وطوفانا ومطافا أو طاف استدار وجاء من نواحيه ... و طاف بالبيت وأطاف عليه دار حوله»[15]

قال الطاهر بن عاشور: «والطواف مشي متكرر ذهابا ورجوعا، وأكثر ما يكون على استدارة، و منه طواف الكعبة وأهل الجاهلية بالأصنام ... وسُمي مشي الغلمان بينهم طوافا لأنّ شأن مجالس الأحبة والأصدقاء أن تكون حلقة ودوائر؛ لتستوي فيها مرآهم »[16] و قد جاء هذا النوع من المشي ( الطواف ) في آيات من القرآن منها قوله تعالى:﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [17]

وقد ورد لفظ الطواف في القرآن الكريم دلالة على تقديم الخدمة، و تلبية طلبات الجالسين مثل قوله تعالى :﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ فترى الخادم يطوف بينهم ذهابا و إيابا كمن يحوم حول الشيء. وسياق هذه الحركة الجسدية يحدد معناها، فإن كان الطواف حول الكعبة فهو ولا شك طواف التعبد، وهذا الطواف بحد ذاته مرتبط بالزمن إذ الطواف في سائر العام إنّما يكون للعمرة، و يكون الطواف في شهر ذي الحجة في أيام الحج دلالة على أن الطائف يؤدي فريضة الحج. بينما يكون طواف الشخص بين الندامى والأصحاب دلالة على أنّه يقوم على خدمتهم .

**6 دلالات السعي:**

إنّ المشي إذا زادت سرعته أصبح سعيا. والسعي يدل في عادة الناس على السرعة إلى المقصد. فإذا رأيت شخصا يحث الخطى فلا ريب أنّه متعجل يبغي قضاء حاجة لا يجوز التواني عنها. ومن دلالات السعي الواردة في القرآن :

**أ _ الدلالة على الاهتمام و الرغبة في إدراك المطلوب:**

وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى:﴿ وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [18] وقد جاء ذات المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [19] قال سيد قطب: «فانتدبت يد القدرة واحدا من الملأ، الأرجح أنّه الرجل المؤمن من آل فرعون الذي يكتم إيمانهم، والذي جاء ذكره في سورة غافر، انتدبه ليسعى إلى موسى ( من أقصى المدينة ) في جد واهتمام و مسارعة، ليبلغه قبل أن يبلغه رجل الملك »[20]

إنّ سعي هذا الرجل يدلّ على مدى حرصه على سلامة موسى عليه السلام. وقد جاءت الهيئة الجسمية ( السعي ) دالة على هذا الاهتمام، و تلك الرغبة في نجاة موسى. وكذلك حال كل من له حاجة وجب قضاءها بسرعة، فإنّك تعرف مدى رغبته في قضائها من خلال مشيته، فإن توانى فهي غير مهمة بالنسبة إليه، وإنّ حثّ الخطى إليها فتلك علامة شدة أهميتها عنده.

**ب _ الخوف و طلب السلامة :**

إنّ الإنسان قد يفاجئه ما يخفيه، فيدبر مسرعا في رد فعل طبيعي غريزي. وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى واصفا حال موسى : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ [21] قال الشوكاني: «( ولى مدبرا ) من الخوف ( و لم يعقب ) أي لم يرجع.»[22]

فالإنسان حال خوفه يقوم برد فعل طبيعي غريزي: وهو الابتعاد عن مصدر الخطر فإن كان الإنسان غير متوقع لذلك الخطر يكون رد فعله بالهرب والسرعة في مغادرة ذلك المكان أمر جدٌّ مُتوقَع منه. وهذا ما كان من موسى عليه السلام حين رأى عصاه وقد تحولت إلى ثعبان عظيم، ولم يكن يألف منها هذا، فولى مدبرا في رد فعل طبيعي غريزي.

**ج _ الدلالة على الغضب و إرادة الأذى بالمغضوب منه:**

يحدث أن يقوم إنسان بأخذ شيء عزيز لشخص أو تحطيمه، فيبلغ الخبر صاحب ذلك الشيء فيسرع إلى الفاعل غاضباً هاماً بإلحاق الأذى به، وهذا ما حدث مع إبراهيم و قومه عندما حطم أصنامهم﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ [23] «أي أقبل إليه عبدة تلك الأصنام يسرعون لما علموا بما صنعه بها [...] من زف الظليم يزف إذا عدا بسرعة » [24]

**د _ الاسترزاق و الجد فيه:**

إنّ الإنسان بطبعه يميل إلى تحصيل منفعته، فيسلك كل سبيل ليؤمن قوته، وما يكون ضروريا لحفظ بقائه، وربما استزاد لأنّه مجبول على ذلك. وفي معنى القيام بشؤون الحياة اليومية ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [25] قال الشوكاني : « فلما بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه...»[26]

إنّ السعي بهذا المعنى هو قضاء الحوائج، ويكون فيه الشاب اليافع أسرع من غيره، وربما كلفه أبوه بقضاء بعض الأمور لخفته وسرعته، وتدريبا له على تحمل المسؤولية. فحركة السعي في الآية دلت على المثابرة والاجتهاد في تحصيل الرزق، وقضاء الحوائج.

**هـ _ الدلالة على العمل الصالح :**

يسعى الإنسان في هذه الدنيا ويقوم بأعمال صالحة وأخرى طالحة، فأمّا عمله الصالح فكسب؛ لأنّه نفع في الدنيا وجزاء في الآخرة. أما العمل الطالح . و إنّ عاد بالنفع المادي . فهو لا يعد كسبا؛ لأنّه شر في الدنيا، ووبال في الآخرة. قال تعالى:﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [27] قال ابن كثير:« كما أنّه لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصّل من الأجر إلا ما كسب وهو لنفسه.»[28] فحركة السعي هنا استعيرت للدلالة على العمل الصالح الذي يحصل من ورائه الأجر كما يحصل النفع من السعي في الدنيا وراء قضاء الحوائج فيحصل انتفاعه بها.

**7 الفرار و الهروب:**

وقد تزاد سرعة الإنسان في السعي فيصبح العدو، أو الجري: «الفَرُّ والفرار الروغان والهروب، فَرّ يَفِرّ فرارا هرب. ورجل فرور وفرورة: فرّار »[29] وقد جاء في القرآن لعدة معا منها :

**أ _ الفرار من أمر مخيف:**

قد يعرض للإنسان ما يظن أنّ فيه هلاكه؛ فيهرب طلبا للنجاة. وقد أخبر الله المنافقين الفارين من ساحة المعركة بأنّ هروبهم هذا لن ينجيهم من الموت قال تعالى:﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [30] قال الزمخشري: «لن ينفعكم الفرار مما لا يد لكم فيه من نزوله بكم من حتف أنف، أو قتل. وإنّ نفعكم الفرار مثلا فمنعتم بالتأخير، لم يكن ذلك التمنع إلا زمانا قليلا. »[31]

فالفرار عادة هو لطلب النجاة. لكن الفرار الذي فره المنافقون طلبا للسلامة غير دائم؛ لأنّ الواحد منهم إنّ لم يمت في ساحات الجهاد مات حتف أنفه . فهذا النوع من الفرار غير ذي جدوى .

وقد يأتي الفرار في القرآن للدلالة على التوبة، والإنابة، والالتجاء إلى الله. قال تعالى:﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [32] قال سيد قطب:« والتعبير بلفظ الفرار عجيب حقا، وهو يوحي بالأثقال، والقيود والأغلال والأوهاق التي تشد النفس البشرية إلى هذه الأرض، وتثقلها عن الانطلاق، وتحاصرها وتأسرها وتدعها في عقال. وبخاصة أوهاق الرزق، والحرص والانشغال بالأسباب الظاهرة للنصيب الموعود. ومن ثم يجيء الهتاف قويا للانطلاق والتملص، والفرار إلى الله من هذه الأثقال والقيود.»[33]

إنّ الإنسان في هذه الدنيا مجبول على حبها والركون إليها وتأسره بمفاتنها، فيصبح أسيرا لها. فإذا أراد الفكاك منها فلا سبيل له غير الفرار والالتجاء إلى الركن المتين وطاعة الله. ففي هذه الحالة يكون كمن كسر قيده، وفرّ من يد عدوه إلى مكان آمن . فالفرار هنا جاء كناية عن ترك متاع الدنيا و زخرفها، والاشتغال بالوظيفة الأصلية للإنسان وهي العبادة، وتحويل طلب الدنيا من عادة إلى عبادة حتى لا يقع في أسرها.

**ب _ الفرار انشغالاً بالنفس لهول الموقف :**

عندما تقوم الساعة تتقطع الأرحام وتذوب الصلاة فينشغل كل واحد بنفسه، راجيا النجاة، متخلٍ عن كل قريب وحبيب. قال تعالى:﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۞ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [34] قال الشوكاني: «وخص هؤلاء بالذكر لأنهم الأخص، وأولاهم بالحنو والرأفة. فالفرار منهم لا يكون إلا لهول عظيم، وخطب فظيع. »[35]

إنّ الفرار في مثل هذه الحال يدل على هول الموقف. فحين يفرط الإنسان في أقرب الأقربين يكون الفرار ليس لمجرد الهرب من خطر ألمّ، بل هو هول ينسي الإنسان الوشائج والروابط التي كانت تربطه بأمه وأبيه، و صاحبته و بنيه وكل الناس فحركة الفرار هنا أتت بمعنى الانشغال بالنفس لهول المطلع .

**8 دلالات الاهراع:**

إنّ الذي يسابق إلى الشيء تدفعه رغبته في تحصيله قبل غيره، فيبذل ما يمكنه من جهد وطاقة ليفوز به. وقد يكون هذا الاستباق لتحصيل خير،أو الفرار من شر. وقد يكون استباق اللهو واللعب، كما يستبق الناس ويتبارون أيهم يصل إلى النهاية أولا، على سبيل المرح أو الرهان. ومن أمثلة ذلك :

**أ _ دلالة على المبادرة لفعل الخير :**

في هذا المعنى يقول الله تبارك و تعالى:﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[36] وقوله تعالى واصفا منازل عباده في المبادرة

إلى الطاعة: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (37)

قال ابن منظور: «السبق المقدمة في الجري وفي كل شيء. نقول له في كل أمر سبقه سابقة، و الجمع الأسباق والسوابق والسبق ... وسابقته فسبقته، استبقنا في العدو أي تسابقنا ... ويقال له سابقة في هذا الأمر إذا سبق الناس إليه »(38). قال الشوكاني: "فاستبقوا الخيرات" أي إلى الخيرات على الحذف والإيصال أي: بادروا إلى ما أمركم الله من استقبال البيت الحرام كما يفيد السياق، وإن كان ظاهره الأمر بالاستباق إلى كل ما يصدق عليه أنه خير. كما يفيد العموم المستفاد من تعريف الخيرات. والاستباق إلى الاستقبال: الاستباق إلى الصلاة في أول وقتها. »(39)

قال الطاهر بن عاشور: «الاستباق: افتعال من السبق وهو هنا بمعنى التسابق والمراد: الاستباق بالجري على الأرجل وذلك مرح الشباب ولعبهم.» (40)

إنّ استباق إخوة يوسف عليه السلام جاء دلالة على اللهو والمرح، و ذلك بقرينة السياق إذ التباري من الغلمان يكون بقصد المرح و اللهو والترفيه عن النفس. وإن كانوا يستبقون في العادة فإن حكايتهم عن الاستباق هذه المرة لم تكن سوى ذريعة يتذرعون بها أمام أبيهم؛ لأنّهم لم يحضروا يوسف معهم.

و قد يكون هذا الإعراض محمودا؛ لأنّ الموقف الصحيح هو ترك هذا العمل، أو الابتعاد عن محل فيه مضرة، فيعرض الإنسان فرارا من الشر، واتقاء للضرر. ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (41) قال الشوكاني: « ومعنى إعراضهم عنه تجنبه لهم، وعدم التفاتهم إليه.»(42) فإن رد الظهر لمن كان مقيما على عمل لا طائل من ورائه أو يخوض في حديث لا نفع فيه، عمل محمود، وخلق مرغوب. فإن كان أهل الباطل يديرون ظهورهم للحق، فمن باب أولى أن يدير المؤمن ظهره لمجالسهم ويدبر عنها خاصة إذا كان فيها تهكم وخوض في آيات الله تعالى.

وقد يخير الإنسان بين : الإعراض عن الشيء ، وعدمه . إن كان مأمون الجانب لا يخشى عليه من الوقوع في الزلل . أو كان حكما فاختصم إليه أهل الباطل، فله الخيار في أن يقضي بينهم، أو أن يعرض عنهم مثلما ما جاء في قول الله تعالى تخيير النبي ﷺ : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (43) فإنّ الإعراض هنا كناية عن عدم الحكم بين أهل الباطل، لأنّهم إنّما يبحثون عمن يعطيهم الحق ولو لم يكونوا أصحابه وليس همهم تحقيق العدل. وللإنسان أن يعرض عن مثل هذه المواقف، أو أن يدلي فيها بالحق دون إرضاء لطرف.

وقد يكون الإدبار عن مجلس استمرأ أصحابه الكذب، فيكون لزاما على الإنسان السوي مغادرته. أو أن يكون أصحاب المجلس يدعون حقيقة لا يتقبلها العقل لما علم من طباعهم السيئة، فيظن الإنسان أن ما أجمعوا عليه كذب، فيترك مجلسهم مثل ما كان من نبي الله يعقوب عليه السلام حين أجمع أبناؤه

على أن أخاهم بن يامين قد سرق، وألقي عليه القبض ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [44] إن تولي يعقوب، وتركه مجلس أبنائه، إنما كان بسبب خشيته على ابنه من أن يكون إخوته قد دبروا له مكيدة مثلما فعلوا مع يوسف، فعدم تصديق حديثهم هو ما دعاه للإعراض عنهم، فالإنسان إن أحس بعدم صدق محدثيه فإنه ينسحب من المجلس.

**وقد يكون التولي والإدبار طلبا للمنفعة:**

وقد أتى معنى الإدبار والتولي في القرآن طلبا للراحة، وبحثا عن مكان يستقر فيه الإنسان بعد القيام بجهد مثلما ما كان من نبي الله موسىعليه السلام حينما سقى للبنتين قال تعالى:﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [45] إن تولي موسى إلى الظل هنا سلوك طبيعي لشخص أنهكه المسير ، ثم سقي الغنم بعد ذلك علاوة على أنه لم يكن له مكان يأوي إليه ، فانقلب إلى ظل الشجرة .

**ثانياً _ دلالات سلبية للمشي:**

**1_ الفرار خوفا من التأثر بالحق و الإعراض عنه خشية تمكنه من النفس:**

وهذا صنيع المشركين والمنافقين؛ الذين لا يريدون سماع صوت الحق. قال تعالى على لسان نوح عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾ [46] قال الزمخشري: «ليلا ونهارا دائما من غير فتور مستغرق به الأوقات كلها. فلم يزدهم دعائي: جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار. والمعنى أنهم ازدادوا عنده فرارا. »[47]

يفرّ الإنسان مما يخاف أن يُلحق به الأذى. فإذا رأيت إنسانا هاربا موليًا فلا شك أنه واجه ما يخيف. لكن هؤلاء المشركين و المنافقين قد واجهوا الدعوة إلى الله. ولأن قلوبهم غلف بسبب المعاصي والآثام؛ فرُّوا هاربين من الدعوة إلى سبيل الهداية. إنّها الفطر المنكوسة .

**2 _ الدلالة على الغفلة :**

إنّ الإنسان في مسيره على وجه الأرض يقابل من الآيات الماثلة على صفحة الكون ما يدعوه إلى التأمل والتدبر ومن أطلال الأمم السالفة ما يدعوه إلى الاعتبار بمصائر من هلك قبله . قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى﴾ [48]

إنّ مصائر قوم عاد وثمود بهلاكهم، وبقاء أطلال مساكنهم شاهدة على سوء مصيرهم، والمشركون من العرب (يمشون في مساكنهم ) «و يتقلبون في ديارهم، أو حال كون هؤلاء يمشون في مساكن القرون الذين أهلكناهم عند خروجهم للتجارة، وطلب المعيشة، فيرون بلاد الأمم الماضية والقرون الخالية خاوية خاربة من أصحاب الحجر وثمود و قرى قوم لوط، فإنّ ذلك مما يوجب اعتبارهم لئلا يحل بهم مثل حل بأولئك .»[49]

إنّ المشي في مناكب الأرض والضرب فيها طلبا للرزق مدعاة لتأمل الكون وما حلّ بالأمم السالفة لكن المشركين من العرب كانوا يمرون على مضارب القوم البائدين ساهين غافلين، على الرغم من معاينة الديار البلاقع، لكنهم يمشون فيها في غفلة وعدم تدبر.

و قد دعا المولى تبارك وتعالى الخلق إلى السير في الأرض متدبرين متأملين فقال: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (50) وقوله ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (51)

**3_ الدلالة على الاندساس للفت في العضد :**

إنّ المسير بين الناس له أغراض شتى، فمنهم من يسير مع الناس مستأنسا بهم، ومنهم من يسير مع القوم تكثيرا لسوادهم ومنهم من يسير معهم ليسعى بينهم بالأراجيف ليفت في عضدهم، ويفرق شملهم وهي شيمة المنافقين دينهم و ديدنهم. وفي هذا المعنى يقول الحق تبارك وتعالى :﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (52)

قال الشوكاني: «( و لأوضعوا خلالكم يبغون الفتنة ) الإيضاع سرعة السير، و منه قول ورقة بن نوفل*:

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع

يقال أوضع البعير: إذا أسرع السير، و قيل : الإيضاع سير الخبب. والخلل الفرجة بين الشيئين، والجمع الخلال: أي الفرج التي تكون بين الصفوف. والمعنى لسعوا بينكم بالإفساد بما يختلقونه من الأكاذيب المشتملة على الإرجاف، والنمائم الموجبة لفساد ذات البين »(53)

لقد صور القرآن المنافقين في هيئة الساعي الذي يحث الخطى بين المؤمنين، يزرع الأراجيف ويختلق الأكاذيب كلما سنحت له الفرصة، يتحين ظهور خلل بين الصفوف ليندس فيه وينفث سمه. فجاءت هيئة الإيضاع ( السرعة في السير) دلالة على الحرص على بث الفرقة والشقاق بين أهل الإيمان.

**4 _** دلالة **الهرع :**

قال ابن منظور:« الهرع والإهراع شدة السوق وسرعة العدو... وأهرعت الإبل أسرعت إلى الحوض وأهرع الرجل على ما لم يسم فاعله أخفّ وأرعد من سرعة أو خوف، أو حرص، أو غضب، أو حمى »(54)

و قد يأتي الإهراع إلى الشيء دلالة على :

**أ _ الرغبة فيه بدافع الشهوة :**

وقد جاء هذا النوع من العدو في قوله تعالى . واصفا قوم لوط: ﴿ وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾[55] قال الشوكاني : « ومعنى ( يهرعون إليه ): يسرعون إليه. قال الكسائي والفراء وغيرهما من أهل اللغة : لا يكون الإهراع إلا إسراعا مع رعدة، يقال أهرع الرجل إهراعا أي: أسرع في رعدة من بَرْدٍ، أو غضب، أو حمى . قال مهلهل بن ربيعة**:

فجاءوا يهرعون وهم أسارى نهودهم على رغم الأنوف

وقيل يهرعون: يهرولون، وقيل هو مشي بين الهرولة والعدو، والمعنى أن قوم لوط لما بلغهم مجيء الملائكة في تلك الصورة؛ أسرعوا إليه كأنما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من أضيافه»[56]

إنّ إهراع هؤلاء المجرمين من قوم لوط إنّما كان إسراعا إلى بيت لوط برغبة تدفعهم إلى فعل الفاحشة فقد كانت تسوقهم أهواءهم، لأنّ المسرع إلى الشيء إنّما تسوقه رغبته فيه. وهذه السرعة ليست على الطريقة المألوفة، بل سرعة يصحبها اضطراب. فقد أعماهم الكفر، واستعبدتهم الشهوة حتى كأن الواحد منهم يجري وفيه رعشة، أو رعدة. وقد جاءت هذه الهيئة الذميمة على شاكلة من ألَمَّ به ما يذهب عقله، أو برد أفقده توازن جسمه، أو حمى أنهكته ؛ فلم يكن إسراعه طبيعيا.

**ب _ الدلالة على الإتباع و التقليد :**

إنّ الإنسان يولد في المجتمع فيأخذ عنه دينه، وأخلاقه، وعاداته. لكن في الوقت ذاته مكلف بالبحث عن الحق وتحريه ولا يتخذ دين الآباء والأجداد حجة لرد الحق والصد عنه. و قد ذمّ الله هذه الصفة وجعلها حجة واهية يرفعها أهل الضلال في وجه الدعوة إلى الحق؛ فتراهم متمسكين بدين آبائهم على بينونة ضلاله. ويقلدونهم كمن يتتبع خَطْو شخص آخر، بل يسرع وراءه يحث الخطى آملا أن يلحق به. قال تعالى:﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءهُمْ ضَالِّينَ ۞ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾[57] قال الشوكاني: «الإهراع الإسراع، قال الفراء: الإهراع الإسراع برعدة. قال أبو عبيدة: يهرعون: يستحثون من خلفهم. يقال جاء فلان يهرع إلى النار: إذا استحثه البرد إليها. وقال المفضل: يزعجون من شدة الإسراع، قال الزجاج: هرع وأهرع إذا استحث وانزعج.»[58]

إنّ الإسراع في المسير يكون عادة بدافع يدفع الإنسان إليه؛ لأن الذي لا ينتظره عمل يمشي إلى غايته مطمئنا، وربما تشاغل في طريقه ببعض الأشياء؛ قتلا للوقت. فحال هؤلاء المشركين في اتباعهم لآبائهم حال من له حاجة تدفعه إلى الإسراع ليبلغ مراده، وربما اعترض سبيل الإنسان أمر يزعجه، فحث الخطى متجاوزا إياه؛ رغبة في التخلص منه. وهذا حال المشركين مع دعوة الحق، فهم منزعجون منها يحثون الخطى على درب الكفر، كمن يريد تجاوز الأمر المزعج بأقصى سرعة.

**5_ دلالات هيئة الإعراض والتولي:**

وتكون هذه الهيئة الجسمية دالة على: الترك وعدم الاكتراث والتكذيب أو الكره للشيء و بغضه وعدم إرادة النظر إليه، وقد يكون الإعراض محمودا إذا كان تركا لأمر سيء، أو الإعراض عن منظر

قبيح لا يجب النظر إليه، وبالرجوع عن سبيل تبين عدم صوابيتها، أو أن فيها مضارا. وقد تعدّدت دلالات هيئة الإعراض في القرآن الكريم منها :

**أ _ نقض العهد و الميثاق :**

في هذا المعنى يقول الله تبارك وتعالى:﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[59] قال الشوكاني: «(ثم توليتم) التولي الإدبار عن الشيء، والإعراض بالجسم. ثم استعمل في الإعراض عن الأمور، والأديان والمعتقدات اتساعا و مجازا. والمراد هنا الإعراض عن الميثاق المأخوذ عليهم.»[60]. فالإعراض في هذه الآية مجاز لا حقيقة، لأنّ التعبير عن نقض الميثاق والنقض بالعهد رجوع عن الحق، كمن كان مقبلا ثم أدبر. فوظف القرآن هذه الهيئة الجسمية ليكون المعنى واضحا في ذهن المتلقي، و يتبين مدى قبح هذه الفعلة .

**ب _ ترك الحق والزهد فيه:**

و تكون هيئة الإعراض دالة على عدم تدبر الحق، و رده دون إعمال العقل؛ ليتبين الإنسان الصواب من الخطأ. ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [61]

قال الزمخشري: «وما يظهر لهم دليل قط من الأدلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار، إلا كانوا عنه معرضين تاركين للنظر، لا يلتفتون إليه، ولا يرفعون به رأسا؛ لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب.» [62]

إنّ هذه الصورة التي يرسمها القرآن الكريم لمخلف العهد مع الله تُبَين مدى حقارته ونذالته. فصوره القرآن كمن كان مقبلا يسأل ويقدم الوعود بالصلاح، والحلف على فعل الخير، فلما أعطاه الله طلبه أعرض وغير وجهته: فمنع وأمسك كما يغير المقبل وجهته فيدبر. فوظف القرآن حركة الإدبار للتعبير عن الانقلاب رأسا على عقب قال الشوكاني: «( فلما آتاه من فضله تولوا و هم معرضون ) أي لما أعطاهم ما طلبوا من الرزق بخلوا به: أي بما آتاه من فضله، فلم يتصدقوا منه كما حلفوا به (وتولوا ) أي أعرضوا عن طاعة الله وإخراج صدقات ما أعطاهم الله من فضل. »[63]

**ج _ إعراض الجحود و العناد :**

وفي مثل هذا الحال يكون الإنسان قد اشترط شرطا للتصديق، أو القيام بعمل ما. فما إن يتحقق شرطه حتى يعاند ويجحد ما كان قد ألزم به نفسه، فيكون كمن أعرض وتولى وأدار ظهره لقوله هو نفسه، لا لقول غيره. ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى حكاية عن قوم صالح ﴿ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [64] فقد اشترط قوم صالح أن يخرج ناقة من الصخرة ليصدقوه، فلما أخرج لهم الناقة لجوا في طغيانهم وارتدوا على أعقابهم بعد أن نصب لهم الأدلة.

**د _ الإعراض عن الحق و الإقبال عليه تبعا للمصلحة:**

يعرض الكفار عن الحق، ويتمادون في الغي، وينكصون على أعقابهم كلما لاح لهم نور الإيمان. وكان أشد الناس كفرا اليهود الذين علموا بصدق نبوة محمد ﷺ لكن السواد الأعظم منهم كذبه، وتآمر عليه حسدا وردة عن الحق الذي وجدوه في كتبهم. قال تعالى: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ (65)

قال الشوكاني:« فمنهم أي اليهود من آمن به أي النبي ﷺ، ومنهم من صد عنه أي أعرض عنه. وقيل الضمير راجع إلى ما ذكر من حديث آل إبراهيم والمعنى: من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم، ومنهم من صدَّ عنه.» (66)

وأيا يكن عود الضمير (على النبي ﷺ ، أم على إبراهيم عليه السلام ) فمعنى الإعراض والتولي عن الحق، فاليهود لم يؤمنوا لا بمحمد ولا بغيره من الأنبياء، وقد جاءت الحركة الجسمية ( الصد) دلالة على هذا المعنى لكونه يجسد حال اليهود المقبلين على الحق ( النبوة التي كانوا يظنون أنها فيهم ) فلما أوحي إلى النبي ﷺ صدوا: كهيئة الملتفت منقلبا على عقبيه، تغييرا للمسار وتحريفا للوجهة .

والمنافقون شأنهم شأن يهود، اتصفوا بكل صفة قبيحة، فإن وقع نزاع بين أحدهم وغيره من المؤمنين وأيقن أنه ظالم وأنه إن قبل بالتحاكم إلى الله ورسوله خسر القضية أعرض وتولى، ولم يقبل. قال تعالى:﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ۞ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ (67)

لقد أعرضوا عن القول الذي قيل لهم، بأن يذهبوا إلى النبي ﷺ عليه كي يستغفر لهم. فالتالي لهذه الآية يتخلق في ذهنه صورة ذلك المنافق وهو يلتفت صادا الحق، موليا وجهه عكس الجهة التي تأتيه منها دعوة الذهاب إلى الرسول. وهي أحمل للدلالة من قولنا: رفضوا، فاستحضار صورة الصاد بوجهه، المولي بجسمه، تشخص المعنى في صورة محسوسة مرئية. وقد جاء معنى التولي بمعنى الردة عن الدين، و النكوص عن الحق، لأن المرتاب الذي لم يوقن بالشيء على شفا جرف هار، معرض للانتكاس والردة لأتفه الأسباب لأنّه لم يؤمن بالله حقا، ولم يوقن بصحة هذا الدين.

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (68) قال الزمخشري: « ( يعبد الله على حرف ) على طرف من الدين، لا في وسطه ولا في قلبه. وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم، لا على سكون وطمأنينة، كالذي يكون على طرف المعسكر، فإن أحس بظفر وغنيمة قرَّ واطمأن، وإلا فرَّ وطار على وجهه »(69)

إنّ المتردّد تراه دائما يرقب جهة الظفر ليلوذ إليها، وهذا خلق ذميم لأنّه من شيم النفاق ومن شأنه أن يزرع عدم الاستقرار بين الناس. وقد صوره الله بأقبح صورة فقال: ( انقلب على وجهه ) فهذه الحركة الجسمية توحي بمعان الخسة والنذالة التي يكون عليها صاحب هذا الخلق. فهو لم يقل بدّل رأيه، بل قال انقلب على وجهه لما لهذه الهيئة من قبح في النفس، ودلالة على معنى الردة و الكفر

والتقلب بين الآراء تبعا للمصلحة أو فرارا من الالتزامات، أو غير ذلك من المعاني التي يحدده سياق وُرود هذه الهيئة الجسمية.

لقد صور القرآن المنافق بهيئة الرائح الغادي تبعا لمصلحته، فإن كان الحق في جانبه أقبل، و إن كان الحق لغيره أدبر. يقول الله تبارك وتعالى في آية أخرى واصفا تلك النفوس المريضة: ﴿ وَإِذا قِيلَ لَهُمْ : تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ ، رَأَيْتَ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً ﴾[70] قال الزمخشري: «إنهم لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحق المر والعدل البحت : يزْوَرُّون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم الحق؛ لئلا تنزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم »[71]

إنّ المنافقين كالسرطان الخبيث يتحتم على الإنسان التعايش معه وعدم إجراء عملية استئصاله لعواقبه الوخيمة، وكذلك كان حال المنافقين، فقد كان المسلمون يحاولون علاج مرض قلوبهم بدعوتهم إلى الحق تارة وبمحاولة طلب المغفرة لهم أخرى، لكنهم يعرضون في كل مرة، سواء كانت دعوتهم للإيمان بالله لما رأوا من معجزات باهرات أو محاولة دعوة الله لهم، والاستغفار لهم عسى أن يرجعوا عن غييهم، لكنهم يعرضون. قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [72]

لقد أعرضوا عن القول الذي قيل لهم، بأن يذهبوا إلى النبي ﷺ عليه كي يستغفر لهم. فالتالي لهذه الآية يتخلق في ذهنه صورة ذلك المنافق وهو يلتفت صادا الحق، موليا وجهه عكس الجهة التي تأتيه منها دعوة الذهاب إلى الرسول. و هي أحمل للدلالة من لو أنه قال رفضوا، فاستحضار صورة الصاد بوجهه، المولي بجسمه، تشخص المعنى في صورة محسوسة مرئية.

إنّ المتردّد تراه دائما يرقب جهة الظفر ليلوذ إليها، وهذا خلق ذميم لأنّه من شيم النفاق ومن شأنه أن يزرع عدم الاستقرار بين الناس. و قد صوره الله بأقبح صورة فقال : ( انقلب على وجهه ) فهذه الحركة الجسمية توحي بمعان الخسة والنذالة التي يكون عليها صاحب هذا الخلق. فهو لم يقل بدّل رأيه، بل قال انقلب على وجهه لما لهذه الهيئة من قبح في النفس، ودلالة على معنى الردة و الكفر والتقلب بين الآراء تبعا للمصلحة، أو فرارا من الالتزامات، أو غير ذلك من المعاني التي يحدده سياق وُرود هذه الهيئة الجسمية.

إنّها علامات النفاق البادية للعيان، حتى كأن المنافق لوضوح نفاقه وتوليه وصده عن الحق كمن نشاهده رأي العين ينقلب راجعا من حيث أتى، كرها وبغضا لما وجد أمامه من حق وعدل ترفضه فطرته المنكوسة.

إنّ الكفار منعوا المسلمين من دخول مكة، فولى المسلمون راجعون إلى المدينة وغيروا وجهة سيرهم وقد عبر( بـ صدّوا) لأنّ المانع للشخص من إكمال مسيره أو بلوغ الغاية التي خرج من أجلها، يكون كمن قام بتحريف جسم هذا الإنسان عنوة وأداره عكس ما يقصد. لأنّ الإكراه عن الشيء إما أن يكون بالفعل، فيقوم بإدارة جسم الإنسان فعلا للجهة المخالفة أو يُكرهه على فعل ذلك: إما بالتهديد و

الوعيد، أو بخلق العراقيل التي لا يمكن تجاوزها، فيضطر إلى تغيير وجهته، والرجوع عما كان يصوب إليه.

و قد جاءت آيات كثيرة تصف عدم الانصياع للحق، ورفضه، وعدم التفكير فيه خشية أن يقتنعوا به بالإعراض الذي هو هيئة جسمية يتخذها الإنسان إذا لم يرغب في السير في اتجاه معين، فيدير ظهره، ويتجه إلى الجهة المعاكسة.

من خلال ما تقدّم يتبين لنا أن القرآن الكريم قد وصف كل نوع من أنواع المشي بما يتناسب مع الموقف الذي وقع فيه. بل اختار لكل نوع منه تسمية توحي بالدلالة التي يتوخاه الماشي إلى غايته إيجابية كانت أم سلبية، فقد رأينا من المشي ما يكون علامة سميائية دالة على التواضع والإخبات ، كما يكون علامة على الصلاح وطيب السريرة، وقد يكون المشي دليل حشمة وحياء وطيب معدن صاحبه. كما يخبرنا المشي في أوقات معينة بدلالات توحي بطوية الماشي وما يخفيه كالمشي ليلا يكون ديدن من يرمي إلى إخفاء ريبة، أو التسلل خلسة حتى لا يشعر به غيره. كما يمكن أن توحي لنا طريقة مشي الشخص بحالته النفسية وما يخامر وجدانه كمشية الخائف المترقب المنتظر لحلول مكروه أو غير ذلك من صور المشي الدالة.

كما يكون الإسراع في المشي والإبطاء فيه ذو دلالة لا تخفى على من يمعن النظر فيه. فمنها مثلاً المسارعة في السعي إلى أفعال الخير ومواطن النفع؛ فنشاط الماشي إلى هذا المواضع دليل إقبال وترجمان صلاح، كما يكون التثاقل عن ذلك أو الاسراع في مواطن الريبة ومظان الإفساد دليل خبث الطوية وفساد الخلق.

ومن الدلالات التي تستشف أيضا من سلوك الماشي إقباله وإدباره في مواضع يكون لهذا السلوك دلالته العرفية، فالإقبال في مواضع الشدائد والصحاب مثلا يوحي الشجاعة ورباطة الجأش، كما أن الإدبار في ذات الموضع دليل جبن وخور.

فالمشي في القرآن كان بمثابة كواشف تدلنا على معان يصعب حصرها بل تستفاد من السياق الذي ترد فيه.

## ثبت المصادر والمراجع


- **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع**

1_ بن عاشور الطاهر ، التحرير و التنوير ، دار سحنون ، تونس (د ط ) ، 1997 ، ج 27

2_ ابن كثير ( أبو الفداء إسماعيل ) ، تفسير القرآن العظيم ، الشركة الدولية للطباعة القاهرة الطبعة الأولى ، 2001 .

3_ابن منظور ، ابن منظور ( محمد بن مكرم ) ، لسان العرب ، مرفق بحواشي اليازجي وجماعة من اللغويين ، دار صادر بيروت ، ط 1 ( د ت)

4_ بيز آلان وباربارا ، المرجع الأكيد في لغة الجسد ، ترجمة مكتبة جرير ،المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، 2008

5_ الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد ، فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق مصطفى السقا و أخرون ، دار الفكر دمشق ( د ط) 1990

6_ دريد بن الصمة ، ديوانه ، تحقيق عمر عبد الرسول ، دار المعارف ، القاهرة مصر ، ( د ، ط ) ، 1985

7_ الزمخشري ( أبو القاسم محمود بن عمر) ، الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1407 هـ ج 4

8_ قطب سيد ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ( د ط ) ، ( د ت) ج 5

9_ الشوكاني ( محمد بن علي بن محمد ) ، فتح القدير الجامع بين علمي الدراية والرواية من علم التفسير، اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش ، دار المعرفة ، بيرو ت لبنان الطبعة الرابعة 2007 .

10_ محمد عيد عريب ، علم لغة الحركة بين النظرية والتطبيق ، دار الثقافة عمان الأردن ،الطبعة الأولى ، 2010

11_ محمد العبد ، العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال ، مكتبة الآداب ، (ط 1 )، 2007

12_ مهدي أسعد عرار ، البيان بلا لسان دراسة في لغة الجسد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 2007

**هوامش الدراسة:**

(1) مهدي أسعد عرار ، البيان بلا لسان دراسة في لغة الجسد، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 2007 ، ص: 51

(2) محمد العبد، العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال ، مكتبة الآداب ، (ط 1 )، 2007 ، ص : 198.

(3) آلان وباربارا بيز، المرجع الأكيد في لغة الجسد، تر: مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية ، ط1، 2008، ص:10.

(4) مهدي أسعد عرار، البيان بلا لسان دراسة في لغة الجسد، (م، س) ص : 89 . 91

(5) محمد عيد عريب، علم لغة الحركة بين النظرية والتطبيق، دار الثقافة عمان الأردن ، ط1 ، 2010، ص : 187.

(6) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد ، فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق مصطفى السقا و أخرون، دار الفكر دمشق، ( د ط) 1990، ص: 196 . 199

(7) سورة الفرقان ، الآية 63

(8) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ( د ط ) ، ( د ت) ج 5 ، ص : 2577

(9) سورة الأنعام ، الآية 122

(10) سيد قطب ، في ظلال القرآن (م، س) ، ج 3 ، ص : 1201

(11) سورة القصص ، الآية 25

(12) سيد قطب ، في ظلال القرآن (م، س) ، ج 5 ، ص : 2686

(13) سورة هود الآية 81

(14) الشوكاني ، ( محمد بن علي بن محمد ) ، فتح القدير الجامع بين علمي الدراية والرواية من علم التفسير، اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش ، دار المعرفة ، بيرو ت لبنان ، ط4، 2007، ص : 668

(15) ابن منظور ( محمد بن مكرم ) ، لسان العرب ، مرفق بحواشي اليازجي وجماعة من اللغويين ، دار صادر بيروت ، ط1 ( د ت ) . مادة ( طوف ) ، ج 9 ، ص : 225

(16) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ، دار سحنون ، تونس (د ط ) ، 1997 ، ج 27 ص 68

(17) سورة الحج الآية 29

(18) سورة القصص الآية 20

(19) سورة يس الآية 20

(20) سيد قطب، في ظلال القرآن (م، س) ج 5 ، ص : 2685

(21) سورة النمل الآية 10

(22) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين علمي الدراية والرواية من علم التفسير، (م، س)، ص : 1072

(23) سورة الصافات الآية 94

(24) الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين علمي الدراية والرواية من علم التفسير، (م، س)، ص : 1245

(25) سورة الصافات الآية 102

(26) الزمخشري ( أبو القاسم محمود بن عمر) ، الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، دار الكتاب العربي ، بيروت 1407 هـ ج 4 ص : 51.

(27) سورة النجم الآية 39

(28) ابن كثير، (أبو الفداء إسماعيل)، تفسير القرآن العظيم، الشركة الدولية للطباعة القاهرة، ط1، 2001 ، ج 4، ص:258

(29) ابن منظور ، لسان العرب، (م، س) ، مادة ( فرر ) ، ج 5 ، ص : 50

(30) سورة الأحزاب الآية 16

(31) الزمخشري ، الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل (م، س)، ج 3 ص : 528 / 529

(32) سورة الذاريات الآية 50

(33) سيد قطب ، في ظلال القرآن (م، س) ، ج 6 ، ص : 3386

(34) سورة عبس الآية 34 / 35 / 36 / 37

(35) الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين علمي الدراية والرواية من علم التفسير، (م، س)، ص : 1588

(36) سورة البقرة الآية 148

(37) سورة فاطر الآية 32

(38) ابن منظور ، لسان العرب، (م، س)، مادة ( سبق ) ، ج 10 ، ص : 151

(39) الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين علمي الدراية والرواية من علم التفسير، (م، س)، ، ص : 102

(40)الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (م، س)، ج 12، ص : 55

(41) سورة القصص الآية 55

(42) الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين علمي الدراية والرواية من علم التفسير، (م، س)، ص : 977

(43) سورة المائدة الآية 42

(44) سورة يوسف الآية 84

(45) سورة القصص ، الآية 24

(46) سورة نوح الآية 06

(47) الزمخشري ، الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل (م، س)، ج 4 ، ص : 615

(48) سورة طه ، الآية 128

(49) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين علمي الدراية والرواية من علم التفسير، (م، س)، ص : 296

(50) سورة آل عمران الآية 137

(51) سورة النحل الآية 36

(52) سورة التوبة الآية 47

* ينسب هذا البيت لورقة بن نوفل، كما ورد ذكره في ديوان دريد بن الصمة ، تحقيق عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة مصر، (د، ط ) ، 1985 ، ص : 128.

(53) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين علمي الدراية والرواية من علم التفسير، (م، س)، ص : 575

(54) ابن منظور ، لسان العرب، (م، س)، ، مادة ( هرع ) ، ج 8 ، ص : 369

(55) سورة هود الآية 78

** مهلل بن ربيعة ، ديوانه ، ص : 51

(56) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين علمي الدراية والرواية من علم التفسير، (م، س)، ص : 667

[57] سورة الصافات الآية 70/69

[58] الشوكاني، فتح القدير الجامع بين علمي الدراية والرواية من علم التفسير، (م، س)، ص :1242

[59] سورة البقرة الآية 64

[60] الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين علمي الدراية والرواية من علم التفسير، (م، س)، ص : 64

[61] سورة الأنعام الآية 04

[62] الزمخشري، الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل (م، س)، ج 2 ، ص : 05

[63] الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين علمي الدراية والرواية من علم التفسير، (م، س)، ص :567

[64] سورة الحجر الآية 81

[65] سورة النساء الآية 55

[66] الشوكاني، فتح القدير الجامع بين علمي الدراية والرواية من علم التفسير، (م، س)، ص : 306 / 307

[67] سورة النور الآية 48 / 49

[68] سورة الحج الآية 11

[69] الزمخشري ، الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل (م، س)، ج 3 ، ص : 146

[70] سورة النساء الآية 61

[71] الزمخشري ، الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل (م، س)، ج 3 ، ص : 248

[72] سورة المنافقون الآية 05